تحقيق لفظي اليهود والنصارى في القرآن الكريم
(دراسة تحليلية دلالية)

An Exploration Of The Concepts Of Jews And The Christians In The Holy Quran (Semantic Analytical Study)

د/ محمود سليمان حسين الهواوشه
أستاذ مساعد في كلية التربية والآداب في جامعة صحار بسلطنة عمان

Dr. Mahmoud Suleiman Hussein Al-Hawawsheh
Assistant Professor, Faculty Of Education And Arts, Sohar University, Oman

ملخص البحث

تناول البحث مصطلحي اليهود والنصارى؛ لبيان مفهومهما في القرآن الكريم. وقد واجه البحث مشكلة الاشتقاق من لفظ هاد، من حيث المعنى المراد منه، فبعض اللغويين والمفسرين يشتقون من الفعل هاد، يهود بمعنى الهداية، والتوبة، والتهود، فصاروا يهودا، وبعضهم ينسب إلى شخص يهودا، وتبين أن لفظ يهود من هاد هودا في السير؛ بمعنى الانحراف على هدوء عن ملّة سيدنا براهيم، دون الانفصال الكلي، فظلوا على شيء من شرائع أهل الكتاب، وأتوا بالكفر والشرك والمعاصي، فلفظ هاد ليس بمعنى الهداية أو التوبة التامة. ولفظ هادوا يدل على طائفتين: واحدة هادت تائبة وأخرى بقيت على ضلالتها، وهي الكثرة؛ فأسند الفعل هاد في المعاجم والقرآن الكريم إلى الجماعة بالواو، ولم يسند لمفرد أو مثنى، وهذه ميزة لغوية في الفعل هاد. وأما لفظ النصارى فاشتق من مادة نصر، وهم فئة من بني إسرائيل ناصرت سيدنا عيسى، وانحرفوا فيما بعد كما انحرف اليهود.

الكلمات المفتاحية: هدى، هادوا، يهود، نصارى، الشر، الحق.

ABSTRACT

This research paper investigated the concepts of Jews and Christians by analyzing the use of the two words in the Holy Quran. The study revealed that the two words refer to a sect that is not associated with the Abrahamic faith or a divine religion. Some linguists claim that “Yahoud” is derived from “Hada” meaning guidance, repentance or a person called Yahouda etc. The word “Hada” signifies those who do good and evil deeds including disbelief and polytheism, but they still follow the Abrahamic faith. The word “Hadou” refers to those who repented and those who remained misguided (the majority). The word “Nassaraa” refers to a group of people who supported Jesus (peace be upon him), but later they were misguided like the Jews.

Keywords: Hada, Hadou, Yahoud, Nassaraa, religion, evil, good

المقدمة

تناول البحث مصطلحي اليهود والنصارى، وألفاظ أخرى في القرآن الكريم ذات علاقة دلالية بهما، لبيان المقصود منهما لغة واصطلاحا؛ أهما دينان سماويان أم لا؟ وانحصر البحث في حدود اللغة والسياق القرآني، فاعتمد التحليل اللغوي بتقصي المعنى المعجمي، والتحليل الدلالي النصي في سياق الآيات القرآنية.

وتقصى البحث الدلالات اللغوية للفظي (هاد، ونصر)، كجذرين لغويين، فكانت على معان عدة، ما استوجب تقصيا دلاليا لهما في سياقهما القرآني، وتحليله مع ما تعلق بهما من مصطلحات، كمصطلحي اليهودية والنصرانية والأنصار؛ وكلمات أخرى نحو: هادوا وهدنا. فتبين أن مصطلحي اليهود والنصارى، لا يدلان على دين سماوي، وهما ملّتان كان أتباعهما من أهل الكتاب، وقد خرجتا عن ملّة سيدنا إبراهيم، فأشركتا وكفرتا. وهما من تسمية أتباعهما لأنفسهم.

وكان مصطلح النصارى واضحا لا لبس في أصله اللغوي، ما عاد وضوحا في سياقات القرآن الكريم، وأما مصطلح اليهود فقد أُلبس بسبب المصدر الذي اشتق منه، والمعنى الذي حُمّل إليه، فالمعاجم التي وصلتُ إليها تشتق من الفعل: هاد يهود بمعنى تابوا واهتدوا، وليس في معنى اليهود الوارد في سياق القرآن الكريم ما يدل على أنهم مهتدون.

وبحثت الفرق بين هاد وهدى وتاب وعاد، وتوصلت إلى وجود فروقا بين الفعل هاد يهود، ومنه مصطلح يهود، وبين الفعل هدى يهدي بمعنى الهداية، فهاد يهود هودا بمعنى عاد من الخير إلى الشر ومن الشر إلى الخير على هدوء ولين في الحركة والصوت، وفيه التطريب والإلهاء، فلفظ هاد من يهود متعلق بالاعتقاد فكرا وعملا، خيرا وشرا، ومنه اشتق لفظ اليهود؛ أي عادوا من الخير إلى الشر مبتعدين على هدوء ولين متهودين، ولم يكونوا جميعا على تمام التوبة والهدى، وسموا أنفسهم اليهود، ولم يتركوا جل شريعة أهل الكتاب، وأحدثوا فيها الكفر والشرك والمعاصي، وإن عادوا إلى الخير عادوا بهوادة ولين على نقص في التوبة والهدى، فلم يتركوا جل ما أحدثوه في الملّة الجديدة؛ وهي اليهودية، فلفظ هاد ليس فيه

معنى الفعل اهتدى على تمام الهداية، وليس كل من هاد عاد تائبًا.

ويرد لفظ هاد في القرآن الكريم، وفي معاجم اللغة مسندا إلى واو الجماعة، وأسند في واحدة إلى ضمير المتكلمين، ولم يسند لمفرد أو مثنى، وهو في سياق القرآن الكريم يدل على مجموعة من طائفتين: واحدة مهتدية وأخرى ضالة وهي الأكثرية، فخصت اليهود وجمعت إليها النصارى في مواطن، فكل من ينحرف عن مبدئه على طريقة اليهود فهو متهود، وعليه وعلى الاستعمال السّياقي في القرآن الكريم لمصطلحي اليهودية والنصرانية، فلا يقصد بهما دينا سماويا، كما يتضح في متن البحث.

وقبل الشروع في البحث، بحثت عن دراسات محكّمة في الموضوع، فلم أجد في حدود ما اطلعت، وأما الكتب التي تذكر اليهود والنصارى تاريخًا وتفسيرًا للقرآن فكثيرة، وعدت إلى كتب التفاسير بما يغني الموضوع، وابتعدت عن كتب التأريخ لعدم الحاجة البحثية لها.

مشكلة البحث وهدفه

ورد مصطلحا اليهود والنصارى في القرآن الكريم، وألفاظ أخرى لها ارتباط بهما، من مثل هادوا، وهدنا. ونُظر للمصطلحين: على أنهما دينان سماويان، مع أنهما يذكران في سياق الذم، فكيف يكونان دينا سماويا وهما يردان في سياق الذم؟ ومن هنا جاءت فكرة البحث ومشكلته؛ وعليه سيُحقق المصطلحان في السياق القرآني، ومعاجم اللغة؛ لاستكشاف مفهومهما.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في جانبين: الأول الجانب اللغوي وفيه تحديد المعنى المعجمي في لفظ هاد وما يترتب عليه من تفسير، والثاني في تحديد مفهوم مصطلحي اليهود والنصارى في القرآن الكريم.

حدود البحث

ينحصر البحث في لفظي اليهود والنصارى، وما تعلق بهما في إطار الدلالات السياقية في القرآن الكريم، ومعاني اللغة، ولا يتعدى إلى البحث التأريخي.

إجراءات وأدوات البحث

اعتمد البحث على جمع لفظي اليهود والنصارى وما تعلق بهما في القرآن الكريم وعرضها على معاجم اللغة لتحديد المعنى اللغوي، ثم تحليل السياق اللغوي القرآني حيث وردت هذه الألفاظ لتحديد المعنى السياقي لهما في القرآن الكريم، مع مقارنته بالمعنى اللغوي ثم استخراج النتائج.

المصطلحات والمفاهيم

مصطلحات البحث واضحة مطروقة وهي: اليهودية والنصرانية كدينين سماويين، وهذا على خلاف ما توصل إليه البحث. ولفظي هاد ونصر كجذرين لغويين.

الدراسات السابقة.

لا توجد دراسات سابقة محكّمة عن الموضوع محل الدراسة في حدود علمي، وجل ما هو مطروق مؤلفات في اليهودية والنصرانية وهي كثيرة لا يسع البحث ذكرها ولا هي مما يخدمه بشكل مباشر.

منهجية البحث

يعتمد البحث على التقصي اللغوي المعجمي، والأسلوب التحليلي للسياقات القرآنية التي يرد فيها مصطلحا اليهود والنصارى، لتحديد المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذين اللفظين، وما تعلق بهما. ويقسم البحث إلى مبحثين:

الأول: البعد اللغوي في لفظي يهود ونصارى، والثاني: تحليل مدلول لفظي اليهود والنصارى في السياق القرآني.

المبحث الأول: البعد اللغوي في لفظي: يهود ونصارى

البعد اللغوي في لفظ يهود

أوردت معاجم اللغة معاني متعددة للفظ هاد ومشتقاته، فهي بمعنى عاد ورجع تائبا: قال ابن دريد: "وهادَ الرجل يهود هَوْداً، إذا رَجَعَ وناب، وَمِنْه قَول الله جلّ وعزّ: ﴿إنّا هُدْنا إِلَيْك﴾، أَي أنَبْنا وتُبْنا ورجعنا"(١).

وبمعنى اللين والهدوء والسكون: "وهَوّدَ الرجلُ فِي السّير تهويداً، إِذا سَار سيراً لينًا، وَمِنْه اشتقاق الهَوادة، أَي اللِّين والسكون... وهُود: اسْم نَبِي عَلَيْهِ السَّلَام، وَأَصله من التهويد، وَهُوَ السّكُون والهدوء. وسُمّي الْيَهُود يهوداً إِمَّا من قَوْله عز وجلّ: إنّا هُدْنا إِلَيْك، أَي رَجعْنَا وتُبْنا، وَإِمَّا من التهويد أَي السّكُون وَيُمكن أَن يَكُونُوا سُمّوا بِالْمَصْدَرِ من هاد يهود هَوْداً"(٢).

ولا نجد قطعا في معنى اليهود، أهو من العودة والرجوع تائبين، أو من اللين والسكون والهوادة والتهويد، والمصدر هَوْداً. ويتمثل ابن دريد بقوله تعالى: ﴿هُدْنا إِلَيْك﴾ على أن الفعل هاد من التوبة التامة، وهو ليس كذلك، فجذره اللغوي هود، لا يحمل معنى تمام التوبة لكل من هاد ولا تعني تمام الهداية، وسياقات القرآن الكريم تدل على ذلك، وإنما الرجوع على هيئة خاصة في التوبة لطائفتين: واحدة تائبة مهتدية وأخرى ضالة.

ويرى ابن سيدة: أن يهود "اسْم للقبيلة، قَالَ:

أولئِكَ أَوْلَى مِنْ يَهُودَ بِمِدْحَةٍ إِذا أنتَ يَوْماً قُلتَها لَمْ تُؤَنَّبِ(٣)

(١) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، **جمهرة اللغة**، المحقق: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٨٧م، ج٢، ص٦٨٩.

(٢) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج٢، ص٦٨٩.

(٣) هذا البيت من الطويل وقائله رجل من الأنصار كما ذكر الأعلم، انظر: ناظر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي،(ت: ٧٧٨ هـ)، **شرح التسهيل المسمى "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد"** دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، ط١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – جمهورية مصر العربية، ١٤٢٨ هـ، ج٨، ص٤٠٢٥.

وَقيل إِنَّمَا اسْم هَذِه الْقَبِيلَة يهوذ، فعرب بقلب الذَّال دَالا، وَلَيْسَ هَذَا بِقَوي[1].

وفي لساب العرب: "المتَهَوِّد المتَقَرِّبُ. شَمِرٌ: المتَهَوِّدُ المتَوَصِّلُ بِهَوادةٍ إِليه؛ قَالَ: قَالَهُ ابْنُ الأَعرابي. والتَّهَوُّدُ: التوبةُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ ... وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "وَعَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ؛ مَعْنَاهُ دَخَلُوا فِي الْيَهُودِيَّةِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَقالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى"؛ قَالَ: يُرِيدُ يَهُوداً فَحَذَفَ الْيَاءَ الزَّائِدَةَ وَرَجَعَ إِلى الْفِعْلِ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ، ... وَجَمْعُ الْيَهُودِيِّ يَهُود، كَمَا يُقَالُ فِي الْمَجُوسِيِّ مَجُوس .... والهُودُ: اليَهُود، هادُوا يَهُودُون هَوْداً. وَسُمِّيَتِ الْيَهُودُ اشْتِقَاقًا مِنْ هادُوا أَي تَابُوا... هادَ إِذا رجَع مِنْ خَيْرٍ إِلى شَرٍّ أَو مِنْ شَرٍّ إِلى خَيْرٍ، وهادَ إِذا عُقِلَ"[2]. فهل هاد بمعنى عاد وتاب؟ فدخل اليهودية مرة ثانية تائبا على تمام التوبة، وهل كانت اليهودية دينا يُرجع إليه؟

وقالوا: "وهَوَّدَ الرجل: حوَّله إِلَى مِلَّة يَهُودَ، قَالَ سِيبَوَيْهٍ: وَفِي الحَدِيث: "كُلُّ مَوْلودٍ وُلِدَ على الفِطْرَةِ حَتَّى يكونَ أَبَوَاهُ اللَّذان يُهَوِّدانِه ويُنَصِّرانِه "... والتَّهْوِيد، والتَّهْوادُ، والتَّهَوُّدُ: الإبطاء فِي السّير واللين والترفق[3]، والقول بالتحول إلى ملّة رأي معتبر؛ فأي ملّة هذه، أهي التحول إلى ملّة سيدنا إبراهيم أم عنها إلى غيرها.

وأضاف الحموي: "وَسُمِّيَ بِالْجَمْعِ وَبِالْمُضَارِعِ... وَقِيلَ الْيَهُودِيُّ نِسْبَةٌ إلَى يَهُودَا بْنِ يَعْقُوبَ... وَهَوَّدَ الرَّجُلُ ابْنَهُ جَعَلَهُ يَهُودِيًّا. وَتَهَوَّدَ دَخَلَ فِي دِينِ الْيَهُودِ"[4]. فهل التسمية بالمضارع من باب التحول إلى ملّة أم إلى دين؟ أم أن أي تحول يحدث على لين وسهولة هو تهود؟ بحيث لا يثير المتحول الآخرين عليه. وأما النسبة إلى يهودا فواضحة، ولكن هل

(١) ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (ت: ٤٥٨هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم**، المحقق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت،١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ج٤، ص٤١١.

(٢) ابن منظور، محمد ابن مكرم (ت: ٧١١هـ)، **لسان العرب**، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، مادة، هود، ج٣، ص٤٣٩.

(٣) ابن سيدة، **المحكم والمحيط الأعظم**، ج٤، ص٤١٢.

(٤) الحموي، أحمد بن محمد، (ت: ٧٧٠هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية، بيروت، (د. ت) ج٢، ص٦٤٢.

أحدث يهودا ملّة جديدة غير ملّة سيدنا إبراهيم. فسموا على أسمه أم أنه سمي بما فعل من تهود؟ ونجد معنى التحول عند الفيروزأبادي، فيقول: "هَوَّدَهُ: حَوَّلَهُ إلى مِلَّةِ يهودَ...ويَهودَا: أخُو يوسُفَ الصِّدِّيق، عليهما السلام."[١].

ويقول ابن فارس مفسرا التسمية: " فأَمَّا اليَهود فمِن هاد يَهُودُ، إذا تاب هَوْدَاً. وسُمُّوا به لأنَّهم تابُوا عن عبادة العجل"[٢]، فإذا كانت التسمية بسبب عودتهم عن عبادة العجل، فما دينهم الذي كانوا يسمون به قبل ذلك؟ فعادوا إليه، هل هو اليهودية؟ ولا نجد ذلك في القرآن الكريم، كما أن سيدنا يعقوب وبنيه على ملّة سيدنا إبراهيم، وهل مَن هاد يعني أنه رجع إلى اليهودية أم من اليهودية؛ وهذا فيه توضيح لاحق؛ فالعائد يعود إلى ما كان عليه، ولم يكن هؤلاء من قبل على مسمى ديني اسمه اليهودية. فلا علاقة مباشرة بين الاسم (يهودي) والفعل (هاد) بمعنى عاد، فإن كان الفعل هاد بمعنى رجع وعاد، فهم يرجعون إلى ملّة سيدنا إبراهيم أبي الأنبياء الذين بعثوا في بني إسرائيل، ولا يوجد مسمى يهودية ليرجعوا إليه ويتسموا به؛ أي أنهم تسموا بهذا الاسم بعد انسلاخهم عن عما كانوا عليه، وساروا في انحرافهم على هوادة، فتهودوا في الانحراف على هدوء ولين، ومن الهوادة أنهم لم ينسلخوا تمام الانسلاخ عن تعاليم الحق الذي كانوا عليه، فأبقوا في ملتهم الجديدة شيئا من تعاليم الملّة التي كانوا عليها، وأحدثوا جديدا منحرفا عن السابق، فقد حنفوا إلى ملّة غير ملّة سيدنا إبراهيم. فمن أين جاءتهم تسمية اليهودية؟ لعل التسمية قد اشتقت من طريقتهم في الخروج على ملّة سيدنا إبراهيم، ومن طرق عبادتهم؛ ففيها لين الصوت وضعفه، والتطريب، والإلهاء، وتلك يناسبها حركة وصوت التهويد، "والتَّهْوِيد: تَجَاوُبُ الجِنّ، لِلِينِ أَصْوَاتِهَا وضَعْفِهَا، قَالَ الرَّاعي:

---

(١) الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب، (ت: ٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، ص٣٢٩.

(٢) ابن فارس، أحمد بن فارس، ، **معجم مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام محمد هارون، (د. ط)، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ج٦، ص١٨.

يُجَاوِبُ البُومَ تَهْوِيدُ العَزِيفِ بِهِ كَمَا يَحِنُّ لِغَيْثٍ جِلَّةٌ خُورُ

والتَّهْوِيد: التَّطْرِيبُ والإِلْهَاءُ، وَهُوَ مُهَوِّدٌ: ملْهٍ مُطَرِّبٌ. والتَّهْوِيد: المِشْيُ الرُّوَيْدُ، مثل الدَّبِيبِ ونَحْوِه، وأَصلُه من الهَوَادَةِ وأَنشد:

سَيْراً يُرَاخِي مُنَّةَ الجَلِيدِ ذَا قُحَمٍ ولَيْسَ بِالتَّهْوِيدِ"[١]

فالحركة على الهدوء واللين والسكون في الصوت تؤدي إلى النوم، "والتَّهْوِيد: النَّوْمُ.' والتَّهْوِيد: إسْكَارُ الشَّرَابِ، وهَوَّدَه الشَّرَابُ إِذا فَتَّرَهُ فأَنَامَه، وَقَالَ الأَخْطَل: [٢]

ودَافَعَ عَنِّي يَوْمَ جِلَّقَ غَمْرَةً وَصَمَّاءَ تُنْسِينِي الشَّرَابَ المُهَوِّدَا

والتَّهْوِيدُ: الصَّوْتُ الضَّعِيفُ اللَّيِّنُ، الفاتِرُ، كالتَّهْوَادِ بِالْفَتْح، والتَّهَوُّدِ. والتَّهْوِيدُ: الإِبطاءُ فِي السَّيْر وَهُوَ السَّيْر الرَّفِيق، وَفِي حَدِيث عِمْرَان بنِ حُصَيْنٍ رَضِي الله عَنهُ: إِذا مُتّ فخَرَجْتُم بِي فأَسْرِعُوا المِشْيَ وَلَا تُهَوِّدُوا كَمَا تُهَوِّد اليَهودُ والنَّصَارَى، والتَّهْوِيدُ: السُّكُونُ فِي المَنْطِقِ، يُقَال: غِنَاءٌ مُهَوِّد، وَقَالَ الرَّاعِي يَصِف نَاقَة:

وَخُودٌ مِن اللائِي تَسَمَّعْنَ بالضُّحَى قَرِيضَ الرُّدَافَى بِالغِنَاءِ المُهَوِّدِ"[٣]

والفعل هاد يحمل وجهين من العودة: من الشر إلى الخير ومن الخير إلى الشر[٤]، ولعل معاني الهوادة في السير والضعف والتطريب والإلهاء في الصوت، مع معنى الرجوع من الخير إلى الشر ومن الشر إلى الخير – أقرب لاشتقاق لفظ يهود من هود، وليس من النسبة إلى مسمى يهودا الفرد.

(١) الزبيدي، محمّد بن محمّد، (ت: ١٢٠٥هـ) **تاج العروس من جواهر القاموس**، المحقق: مجموعة من المحققين،(د. ط)، دار الهداية، مادة هود، ج٩، ص٣٥٤. وورد البيت في الديوان: (ذا قحم وليس بالتهويد ... حتى استحلوا قسمة السجود)، الباهلي، أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت: ٢٣١ هـ)، ديوان ذي الرمة، رواية ثعلب، المحقق: عبد القدوس أبو صالح، ط١، مؤسسة الإيمان جدة، ١٩٨٢ م – ١٤٠٢ هـ، ص٣٦١.

(٢ (الأخطل، غياث بن غوث بن طارقة التغلبي، ديوان الأخطل، تصنيف مهدي محمد ناصر الدين، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، ص٧٤.

(٣) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مادة هود، ج٩، ص٣٥٥،٣٥٤.

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة هود ج٣ ص ٤٣٩ .

وبالعودة إلى مناقشة المعاني المعجمية؛ فابن دريد لم يقطع في أصل التسمية، ويقول: لا نجد قطعا، وابن دريد وابن منظور يعيدان التسمية إلى الاشتقاق من هاد، أَي تَابُوا، والتائب يعود عن المعصية تائبا إلى الله[(١)]، وعليه فقد عاد اليهود من الضلالة التي سموها اليهودية إلى أصل الدين والرسالة السماوية التي كان عليها سيدنا إبراهيم، ولا ذكر لليهودية في القرآن الكريم لدى الأنبياء قبل سيدنا أبراهيم وبعده، وقد كان سيدنا إبراهيم حنيفًا مسلمًا.

والحموي يثبت التسمية بمضارع الفعل، والمضارع للحال والاستقبال، فهل كل من ترك طريقة مفارقا على هدوء ولين يتهود، فيسير حائدا عن الطريق إلى ما يريد بما لا يثير الآخرين عليه، والفعل هاد يحمل الوجهين: العودة فكرا وعملا من الخير إلى الشر، ومن الشر إلى الخير، وإذا أخذنا برأي أصحاب فكرة التهويد من الابتعاد على لين وهدوء، فهي بمعني الانتقال من شيء إلى آخر خيرا أو شرا، وفي الخير والشر ملمح اعتقادي أو فكري ، فإذا كان الانتقال من الشر إلى الخير فهذا رأى اليهود في تركهم ما كانوا عليه من ملة إلى معتقد آخر كان موجودا مشابها لما هم عليه الآن، وهذا وجه من تسميتهم يهودا، أي رجعوا تاركين ما يعتقدون أنه شر على هوادة، ولم يسمهم الله تعالى بذلك، فكل من يحيد عن ما هو عليه، فهو يتهود إلى ما اعتقد، وعليه فكل ملّة تحيد عما هي عليه في نظر الأخرى متهودة يهودية، وفي الاستعمال الدارج لمعنى يهودي، يطلق الناس على من يتصف بخبث ودهاء ومكر في فكره وخفاء أمره صفة يهودي، وهو من باب المعنى الإضافي في الدلالة، وإذا أخذنا بمعاني هود في أصل اللغة العربية، فأغلب المعنى الإضافي أساسي.

ولا يصح أن نسميهم يهودا بعودتهم من الضلال إلى الهدى؛ لأن العودة ستكون إلى أصل واسم معلوم كانوا عليه. وهو ما يفترض أنهم كانوا عليه من دين الفطرة، دين وملّة سيدنا إبراهيم – عليه السلام –كما جاء في القرآن الكريم. ويمكن أن يطلق عليهم لفظ

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة توب، ج١ ص ٢٣٣.

المهتدين أو التائبين، فمادة هاد ليست من هدى.

وابن سيدة والفيروزأبادي يرجعان تسمية اليهود إلى التحول عن ملّة؛ وهذا رأي معتبر، فالملّة ليست الدين: "والمِلَّة: الشّريعة، وَالْجمع مِلَل، ... الأُمَّة: المِلَّة. ابْن السّكيت: عَن اللحياني: هِيَ الأُمَّة والإمَّة"(١)، وذكر صاحب التاج: "المِلَّةُ، بالكسْرِ: الشريعَةُ أَو الدِّينُ، كمِلَّةِ الإسلامِ والنَّصرانِيَّةِ واليَهودِيَّةِ، وَقيل: هِيَ مُعظَمُ الدِّينِ، وجُمْلَةُ مَا يجيءُ بِهِ الرُّسُلُ، وكلامُ المصنِّفِ يَشيرُ إِلَى تَرادُفِ الثّلاثَةِ، قَالَ الرّاغِبُ: المِلَّةُ: اسْمٌ لِما شرعَهُ الله تَعَالَى لعِبادِه على لِسانِ أَنبيائه لِيَتَوَصَّلوا بِهِ إِلَى جِوارِه، والفرقُ بينَها وبينَ الدِّينِ إنَّ المِلَّةَ لَا تُضافُ إلاّ للنَّبِيِّ الَّذِي تسندُ إِلَيْهِ، وَلَا تكادُ توجَدُ مُضافَةً إِلَى الله تَعَالَى، وَلَا إِلَى آحادِ الأُمَّةِ، وَلَا تَستعمَلُ إلاّ فِي جُملَةِ الشَّرائعِ دونَ آحادِها. "(٢)، "وتَمَلَّلَ، وامْتَلَّ: دخَلَ فِيهَا، أَي فِي المِلَّةِ، ... وَقَالَ أَبو إسحاقَ: المِلَّةُ فِي اللُّغَةِ: السُّنَّةُ والطَّرِيقَةُ"(٣).

وقال العسكري في تفريقه بين الدين والملة: "وكل مِلَّة دين، وَلَيْسَ كل دين مِلَّة، واليهودية مِلَّة؛ لِأَن فِيهَا شرائع"(٤).

فاليهودي والنصراني قد حنفوا بيسر وسهولة إلى ملّة غير ملّة سيدنا إبراهيم، ولم ينقضوا تعاليم الملّة كاملة، فلديهم شرائع من شرعة أهل الكتاب، لكنهم اتخذوا دينا غير دين سيدنا إبراهيم، فانحرفوا وحرّفوا في الملّة، فصاروا ملّة أخرى، لم يقرّها القرآن الكريم. فالقرآن الكريم لا يذكر لفظ اليهود والنصارى إلا في موضع ذم، فليسا من ملّة الإسلام، وليسا دينا سماويا، بدليل الذم، فالدين الحق هو الإسلام. وملّة سيدنا إبراهيم الحنفية المسلمة، فالدين

(١) ابن سيدة، علي بن إسماعيل، (ت: ٤٥٨هـ)، **المخصص**، المحقق: خليل إبراهم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤١٧هـ ١٩٩٦م، ج٤، ص٦٩.

(٢) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، (ت: ٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ١٤١٢ هـ ، ص٧٧١.

(٣) الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مادة ملل، ج٣٠، ص٤٢١،.

(٤) العسكري، الحسن بن عبد الله، (ت: نحو ٣٩٥هـ)، **معجم الفروق اللغوية**، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ط١، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤١٢هـ، ص٥٠٩.

لغة هو العادة والملك، ولذا نجد القرآن الكريم يخصص الدين فيقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [١٩: آل عمران]؛ ليفرقه عن الملل والعادات الأخرى.

وأجمع علماء اللغة على أن هاد من هود؛ بمعنى عاد، فإلام العودة، والحديث الشريف لا يشير إلى أصل ما يولد عليه الطفل بل إلى ما يكون عليه لاحقا بفعل الوالدين، فيدخلانه في ما هم عليه.

وأما تفسير ابن منظور بأن معنى هاد رجع إلى اليهودية ففيه نظر، فلهم أن يسيروا ويتهودوا إلى شيء آخر غير اليهودية؛ لأنها لم تكن موجودة عندما تهودوا كديانة، فاليهودية إما أنها مما أحدثوه أو معتقد آخر هادوا إليه، لكن إن كانوا قد هادوا بمعنى العودة إلى؛ فإنهم يعودون إلى ما كانوا عليه، واليهودية ليست دينا لسيدنا إبراهيم ولا لسيدنا يعقوب وابنائه، ليعودوا إليه، ولم تُذكر بأنها دين لنبي من قبل، وبما أن الفعل هاد يطلق على الرجوع مطلقا من الخير إلى الشر ومن الشر إلى الخير[١]، فما الذي رجعوا عنه؟ أهي ديانة تعرف باسم اليهودية؟ كانت قبل ظهورهم، وسيدنا يعقوب وأبناؤه ومن كانوا قبلهم مسلمين، أم أنهم عادوا عن ملّة ابتدعوها؟ أو كانت موجودة وأسموها اليهودية بأنفسهم، فأغلب لفظ يهود يُسبق بجملة: قالوا، وكذا لفظ نصارى؛ أي أنهم عادوا عن ملّة ابتدعوها وأسموها من عند أنفسهم – إلى دين كانوا عليه، وليس في القرآن ذكر لدين اسمه اليهودية يعودون عنه أو إليه، فلم يبق إلا أنهم مالوا وحادوا إلى ملّة أخرى أو كوّنوا ملّة سموها اليهودية، وهي مشتقة من الفعل هاد؛ أي السير إلى ما أرادوا بهدوء ولين، ومن مظاهرها في العبادة لين الصوت والضعف فيه والتطريب والإلهاء، تاركين دين الحق، أو أنهم سمو بذلك نسبة إلى فرد غيّر في ما كانوا عليه من ملّة سيدنا إبراهيم، وقد يكون الفرد الذي أضلهم هو يهوذا، أحدث ملّة جديدة.

وقد تكون اليهودية تسمية لفئة من الذين قد عادوا تاركين ملّة اليهود. وفي عودتهم

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة هود، ج٣ ص ٤٣٩

لم يكونوا مسرعين متخلين عما كانوا عليه قبل الرجوع؛ فشابت عودتهم أفكار الانحراف التي كانوا عليها، فظلوا متهودين، ولهذا لا يُذكر لفظ اليهود في القرآن إلا في موضع ذم، وكذلك النصارى.

ولأنه لا ترادف في لغة القرآن الكريم، فلا تطابق تام بين معنى: عاد، وهدى، وهاد، وتاب. فقد جاء في معنى الرجوع " فعل الشيء ثانية، ومصيره إلى حال كان عليها... والعود: يستعمل في هذا المعنى على الحقيقة، ويستعمل في الابتداء مجازا، قال الزجاج: يقال قد عاد إلي من فلان مكروه، وإن لم يكن قد سبقه مكروه قبل ذلك"[١]. وتأكيدا لمعنى العودة ابتداء من لا شيء أنه: "جَاءَ فِي كَلَام الْعَرَب أَن عَاد يُرَاد بِهِ الِابْتِدَاء فى بعض الْمَوَاضِع قَالَ الشَّاعِر:

(فإنْ تكُنِ الأيَّامُ أحْسَنَّ مرّةً إلىَّ فقد عادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ)" [٢]

وأما هدى فهي من هدي "والهُدى ضِدُّ الضَّلَالِ وَهُوَ الرَّشادُ"[٣] وأما تاب؛ فتعني العودة عن المعصية والإنابة لله " تابَ إلى اللَّه تَوْباً وتَوْبَةً ومَتاباً وتابَةً: رَجَعَ عن المَعْصيَة، وهو تائِبٌ وتَوَّابٌ"[٤] "وَقَالَ أَبو مَنْصُورٍ: أَصلُ تابَ عادَ إِلَى اللهِ ورَجَعَ وأَنابَ." [٥] ولو عاد جميعهم عودة تامة عن المعصية لقال تعالى على لسان سيدنا موسى تبنا اليك عوضا عن هدنا إليك في قوله تعالى: ﴿إنّا هُدْنا إِلَيْكَ﴾ [١٥٦: آل عمران].

وأما لفظ هاد، ففيه معنى العودة من الخير إلى الشر ومن الشر إلى الخير، على ابتداء وغير ابتداء، وهو ملمح خاص، يتعلق بالخير والشر، وقد يكون عملا أو فكرا، وفي

(١) العسكري، **معجم الفروق اللغوية**، ص٢٥٠.

(٢) العكبري، عبد الله بن الحسين، (ت: ٦١٦هـ)، **شرح ديوان المتنبي**، المحقق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، (د. ط)، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ج١، ص١٠٣.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة توب، ج١ ص ٢٣٣.

(٤) الفيروزآبادى، **القاموس المحيط**، مادة تاب، ص٦٢.

(٥) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة توب، ج١ ص ٢٣٣.

القرآن الكريم يرد لفظ هادوا دالا على مجموعة من طائفتين؛ كثرة ضالة وقلة مهتدية، فجمع بين المعنيين في لفظ واحد، وهذا المعنى من الضلالة والتوبة معا ليس من خاص معنى تاب أو هدى.

أما اشتقاق لفظ يهود من الفعل هاد بمعنى التوبة والهداية، مع الاستدلال بقوله تعالى: ﴿إِنّا هُدْنا إِلَيْكَ﴾ لا يستقيم، فلفظ هدنا ليس بمعنى التوبة التامة عن المعصية أو تمام الهدى، بل هو من هاد بمعنى عودة مخصوصة عما كانوا عليه، فتاب بعضهم وبقيت الأكثرية على ضلالتها، وفي عقيدة من هادوا شوائب كثيرة تخرج أكثرهم عن مفهوم التوبة التامة، فدائما يستدرك القرآن الكريم على الذين هادوا بذكر هذه الشوائب، والذين قال فيهم سيدنا موسى: إنا هدنا إليك، منهم السفهاء فقال الله تعالى على لسان سيدنا موسى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [١٥٥: آل عمران]، فلم يعد الجميع مهتدين ، فاستخدم سبحانه وتعالى لفظ هدنا، وليس تبنا أو اهتدينا، وعلى ذلك فهناك فرق بين هذه الألفاظ في منحى من المناحي، فالفعل هاد يحمل معنى العودة من الخير إلى الشر أو من الشر إلى الخير غير تامة فمنهم المهتدي وهم قلة، ومنهم غير المهتدي وهم الكثرة كما سيُبين لاحقا، ففي الحالتين هناك شوائب تخرجهم عن التمام، فلم يترك جلهم ما كان عليه سيدنا إبراهيم، ولم يعد أكثرهم إلى ما كان عليه سيدنا أبراهيم، ولذا نجد مِن التبعيضية تلازم لفظ أهل الكتاب في أغلب المواطن، وما لم ترد سابقة له، ورد فيه تبعيض لاحق من نوع آخر أو فيه تعميم يشمل طائفتين، وسيوضح ذلك في موطنه.

ويُذكر الفعل: هادوا. كصلة للاسم الموصول الذين، وتأتي جملة الصلة مشفوعة بتفصيل وتبعيض عن الذين هادوا، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٦٢: البقرة]، يقول ابن عاشور في التفصيل عن اليهود؛ أي الذين هادوا: "تَأْنِيسًا لِوَحْشَةِ الْيَهُودِ مِنَ الْقَوَارِعِ السَّابِقَةِ فِي الْآيَاتِ الْمَاضِيَةِ وَإِنْصَافًا لِلصَّالِحِينَ مِنْهُمْ، وَاعْتِرَافًا بِفَضْلِهِمْ، وَتَبْشِيرًا لِصَالِحِي الْأُمَمِ مِنَ الْيَهُودِ وَغَيْرِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا مِثْلَ الَّذين مثل من

كَانُوا قَبْلَ عِيسَى وَامْتَثَلُوا لِأَنْبِيَائِهِمْ، وَمِثْلَ الْحَوَارِيِّينَ، وَالْمَوْجُودِينَ فِي زَمَنِ نُزُولِ الْآيَةِ مِثْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَصُهَيْبٍ، فَقَدْ وَفَّتِ الْآيَةُ حَقَّ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ التَّرْغِيبِ وَالْبِشَارَةِ، وَرَاعَتِ الْمُنَاسَبَتَيْنِ لِلْآيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ مُنَاسَبَةَ اقْتِرَانِ التَّرْغِيبِ بِالتَّرْهِيبِ، وَمُنَاسَبَةَ ذِكْرِ الضِّدِّ بَعْدَ الْكَلَامِ عَلَى ضِدِّهِ"(١). فاليهود الذين يتحدث عنهم ابن عاشور منهم مهتد وغير مهتد وعن التبعيض في هذه الآية يقول القرطبي: "كَأَنَّهُ قَالَ: الَّذِينَ آمَنُوا فِي ظَاهِرِ أَمْرِهِمْ، فَلِذَلِكَ قَرَنَهُمْ بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ، ثُمَّ بَيَّنَ حُكْمَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنْ جَمِيعِهِمْ"(٢). ويقول الدرويش: "وَالْجَوَابُ: فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ إِنَّ الَّذِينَ، وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ" (٣)، فليس كل الذين هادوا ومن ذكر معهم من النصارى والصابئين، لهم أجرهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، بل "مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا" منهم.

ومن مواطن التبعيض مع تعبير: الذين هادوا، قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [٤٦: النساء]، فلم يترك سبحانه وتعالى من أطلق عليهم لفظ هادوا على المطلق، فقال: إن منهم سماعين للكذب ومحرفين للكلام عن مواضعه، فليس كل من هادوا تائبين أو مهتدين تمام الهداية، فلفظ مِن للتبعيض، وهكذا نجد في جميع السياقات القرآنية التي يرد فيها لفظ هادوا، إلّا ما ورد في موضع عموم العقاب للفئتين العائدتين، فلفظ هادوا ليس مطلقا في العودة، وله وجه مخصوص من العودة والتوبة، وعليه استدراك في جملة الصلة وما تلاها، ولا يوجد في لفظ هادوا تصريح بدين اسمه اليهودية، وما جاء من أقوال المفسرين بأنه دين؛ فهو من

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (ت : ١٣٩٣هـ)، **التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، (د، ط)، الدار التونسية للنشر –تونس، ١٩٨٤ ج١، ص٥٣١.

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد، (ت:٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية –القاهرة،١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، ج١، ص٤٣٢.

(٣) درويش، محيي الدين بن أحمد، (ت: ١٤٠٣هـ)، **إعراب القرآن وبيانه**، ط٤، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت), ١٤١٥ هـ، ج١، ص٧٠.

اجتهاداتهم. والاسم الموصول معرفة يحتاج صلة ليتضح المقصود منه، وجملة: هادوا. ومتعلقاتها تأتي بعد الموصول لتوضيحه، وتخصيصه، تفصيلا لمقصوده.

ولا نجد في القرآن الكريم ذكرا لاسم مشتق من الفعل هدى بمعنى مهتدين يدل على اليهود، ولا من الفعل تاب. ومن التبعيض في أهل الكتاب قوله تعالى: ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله﴾ [١١٣: آل عمران].

وهناك من قال أن لفظ هادوا يراد به أحبار اليهود، فقالوا "هادُوا: رجعوا، والمراد بهم أحبار اليهود"(١). ومن تقصي سياقات القرآن الكريم التي يرد فيها ذكر الأحبار، نجد منهم المذموم وغير المذموم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [٣٤: التوبة]، فمنهم من استحفظوا كتاب الله، وكانوا يخشون الناس في تطبيقه، ومنهم من ينهى الناس عن الإثم والسحت، ومنهم من اتخذتهم طائفة من أهل الكتاب أربابا، فأي فئة منهم نسميها اليهود، ولم يذكر في القرآن الكريم أن الأحبار أتباع دين أسمه اليهودية.

ومن النظر في بنية الفعل هادوا، نجد أن واو الجماعة تلازمه، ولم يرد منه ما يسند إلى مفرد؛ بمعنى عاد الرجل أو الإنسان وهو على كفر وإيمان، أو على خير وشر على حقيقة الاعتقاد، فالفرد لا يجمع بينهما على حقيقة الاعتقاد، بينما الجماعة فيها الكافر والمؤمن، والخيّر وحامل الشر، ولذا يصف سبحانه وتعالى طائفة من الذين هادوا بالكفر والشرك، ويستثني أخرى، كما يصف طائفة من أهل الكتاب بنفس الصفات، ويستثني أخرى. ومن تحليل مدلول الفعل: هادوا. نجده يدل على طائفتين: كثرة ضالة وقلة تائبة، والقياس على الدلالة يجيز النسبة للمثنى، فنقول هادا، فواحد مهتد والآخر ضال، ولم أعثر في المعاجم ولا في القرآن الكريم على الفعل هاد مسندا للمثنى على معنى العودة على خير وشر معا.

والقرآن الكريم يسند الفعل هاد إلى واو الجماعة، مع أن المعنى يدل على طائفتين؛

(١) درويش، **إعراب القرآن وبيانه**، ج٢، ص٢٢٤.

لأن الطائفة تتكون من مجموعة. فأسند إلى مكون الطائفتين. ولا يوجد في القرآن الكريم ولا معاجم اللغة إسناد للفعل هاد إلى مفرد؛ لأن المعنى لا يصح، فالفرد لا يكون على الحقيقة معتنقا الخير والشر معا، فلا يصح الجمع بين الضدين في شيء واحد اعتقادا ويقينا.

ومن مقتضيات البحث في لفظي اليهود والنصارى تقصي بعضا من معنى لفظ دين في المعجم، والاستعمال في القرآن الكريم، بما يخدم البحث، وعند العودة إلى معنى لفظ دين في معاجم اللغة نجد منه: الطاعة بالإدانة لله، والاستدانة، والقضاء، والعادة، والشأن وغيرها "دانَ الرجلُ إِذا عَزَّ، ودانَ إِذا ذَلَّ، وَدَانَ إِذا أَطاع، ودانَ إِذا عَصَى، وَدَانَ إِذا اعْتادَ خَيْرًا أَو شَرًّا، ودانَ إِذا أَصابه الدِّينُ، وَهُوَ دَاءٌ"(١)، وقال ابن دريد: "والدِّين: الطَّاعَة والملك. قَالَ الله تَعَالَى: مَا كَانَ ليأخذَ أَخَاهُ فِي دِين الملِك، أَي فِي طَاعَته. قَالَ الشَّاعِر:

لَئِن حللت بجَوٍّ فِي بني أسدٍ... فِي دين عمرٍ وحالت دُوننَا فَدَكُ"(٢). ومن معانيه العادة: "الدِّينُ: الْعَادَةُ والشأْن، تَقُولُ الْعَرَبُ: مَا زالَ ذَلِكَ دِينِي ودَيْدَني أَي عادَتِي"(٣).

وإذا بحثنا عن لفظ دين في القرآن الكريم، كدين سماوي نجده يرتبط بالإسلام لا غير، من عهد سيدنا نوح إلى عهد سيدنا محمد عليهما السلام. ولا نجد لفظ دين نكرة دون تخصيصه بالإسلام، فيضاف إليه ظاهرا أو تقديرا، ولا نجد لفظ دين يضاف إلى لفظ يهود أو نصارى.

ولفظ الدين بمعنى الرسالة السماوية يرد صريحا في القرآن الكريم معرفا بأل التعريف دالا على الإسلام وملّة المسلمين من عهد سيدنا نوح إلى عهد سيدنا محمد عليهما السلام، ولم يرد دالا على يهودية أو نصرانية أو متعلقا بلفظ يهود أو نصارى ولا بأهل الكتاب. قال تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [٣: المائدة] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة ، دين، ج١٣، ص١٧٠.

(٢) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج٢، ص٦٨٨.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة ، دين، ج١٣، ص١٦٩.

يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [٧: الصف]، وهناك مواطن كثيرة تذكر الإسلام والمسلمين على اشتقاقات أخرى.

وعند ذكر عبارة أهل الكتاب، ترد مِن التبعيضية كثيرا سابقة لها ثلاث عشرة مرة، وثلاث مرات لاحقة من أصل تسع عشرة مرة يذكر فيها تعبير أهل الكتاب؛ لتخرج فئة منهم عن الهدى، وهي كثيرة بدليل قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ﴾ [١٠٩: البقرة]، والكثير هم اليهود والنصارى، وفقا لتقصي السياقات في آيات القرآن الكريم. ووفقا لأقوال المفسرين.

١-٢ البعد اللغوي في لفظ النصارى.

قال الجوهري: " نَصَرَهُ الله على عدوِّهِ يَنْصُرُهُ نَصْراً. والاسم النُصْرَةُ. والنَصيرُ: الناصر، والجمع الأنصار ... واستنصره على عدوه، أي سأله أن يَنْصُرَهُ عليه. وتَناصَروا: نَصَرَ بعضُهم بعضاً... ونَصَّرَهُ: جعله نَصْرانِيًّا. وفي الحديث: " فأبواه يهودانه وينصرانه"[(١)]. وقال ابن فارس: "(نَصَرَ) النُّونُ وَالصَّادُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِتْيَانِ خَيْرٍ وَإِيتَائِهِ. وَنَصَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ: آتَاهُمُ الظَّفَرَ عَلَى عَدُوِّهِمْ، يَنْصُرُهُمْ نَصْرًا"[(٢)]، وقال ابن سيدة: "النَّصْرُ إعانةُ المظْلومِ نَصَرَه، قال:

واللهُ سَمَّى نَصْرَكَ الأَنْصارا　　　آثرَكَ اللهُ به إيثارًا" [(٣)]

وعن ابن منظور: "قال الْجَوْهَرِيُّ: ونَصْرانُ قَرْيَةٌ بالشأْم يُنْسَبُ إِليها النَّصارى، وَيُقَالُ: ناصِرَةُ. والتَّنَصُّرُ: الدُّخُولُ فِي النَّصْرانية، وَفِي المحكَم: الدُّخُولُ فِي دِينِ النصْري" [(٤)]،

(١) الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت: ٣٩٣هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ج٢، ص٨٢٩.

(٢) ابن فارس، أحمد بن فارس، (ت: ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام محمد هارون، (د. ط) دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج٥، ص٤٣٥.

(٣) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، ج٨، ص٢٩٩.

(٤) أبو حيان، محمد بن يوسف، (ت: ٧٤٥هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، المحقق: صدقي محمد جميل، (د. ط)، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ج١، ص٣٨٦. وانظر ابن منظور، **لسان العرب**، مادة، نصر، ج٥، ص٢١٢

وانظر البحر المحيط[(١)].

فالإجماع على النصرة، وبلدة في الشام، والتنصير الدخول في النصرانية. ومن الجذر اللغوي نستدل على أن النصرانية من ثبوت النصرة لسيدنا عيسى من الذين اتبعوه، وليس بمعنى دين اسمه النصرانية، وما التنصير إلا من النسبة إلى نصرة النبي عيسى، كما تقول عن مسلمي المدينة المنورة الأنصار، وأنصاري؛ فهم أنصار سيدنا محمد عليه السلام، وهم من جملة المسلمين الذين اتبعوا الرسول الكريم على الدين الإسلامي، فما الدين الذي اتبعه أنصار عيسى. وانظر قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [٥٢: آل عمران]، ورد هذا في سياق آيات في بني إسرائيل، ولم يذكر النصارى، وقال تعالى في آية سابقة: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [٤٩: آل عمران].

ولفظ أنصار الوارد في الآية السابقة نسبة إلى النصرة وليس من النسبة لدين، وقد أقروا بأنهم مسلمون. ومما يؤيد أن النصرة من قول البشر، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ [١٤: الصف]، فالألفاظ: (أَنْصَارَ، أَنْصَارِي، أَنْصَارُ) ليس فيها ما يدل على دين اسمه النصرانية، وتحمل معنى النصرة والعون فقط، وهو خطاب موجه إلى بني إسرائيل وليس ليهود أو نصارى. ولفظ (أنصار) في قوله تعالى": ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ قول الحواريين، قال الزمخشري عن تسميهم بالنصارى: "سموا لأنهم نصروا المسيح"[(٢)].

(١) أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج١، ص٣٨٦.

(٢) الزمخشري، محمود بن عمرو، (ت: ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، دار الكتاب العربي – بيروت،١٤٠٧ هـ، ج١، ص١٤٦.

المبحث الثاني: التحليل السياقي

تحليل مدلول لفظي اليهود والنصارى في السياق القرآني.

بعد معالجة مفردات البحث من حيث الدلالات اللغوية صار لازما بحث لفظي يهود ونصارى في مضانها السياقية من القرآن الكريم؛ للبت في المعاني المحددة للفظ يهود ونصارى، ففي اللغة معاني عدة لكل لفظ، وهذا التعدد مبعثه سياقي، ولا بد من الاحتكام للسياق القرآني.

إذا نظرنا في آراء المفسرين، لا نجد اتفاقا على سبب تسمية اليهود والنصارى، فهم كأهل اللغة الذين لم يقطعوا بسبب التسمية، فمنهم من ينسب لشخص أو مدينة، ومنهم من يشتق من جذور اللغة ومعانيها، منهم من عدهما دينا على الاشتقاق أو على النسبة لشخص أو مدينة، ومنهم من عدهما تسمية مبتدعة من اليهود والنصارى أنفسهم، وسنرى أقوالهم في هذا التحليل..

اختبر سيدنا يعقوب عقيدة أبنائه فأقروا بأنهم مسلمون لمن أسلم له، قال تعالى: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [١٣٣: البقرة]، فيعقوب وأبناؤه ليس لديهم مصطلح يهود ولا نصارى، وقد ظهرا بعدهم عليهم السلام، وجاء من قال للناس كونوا هودا أو نصارى، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٣٥: البقرة]، وهذا قولهم وليس دينا، بدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا﴾؛ أي أنهم ابتدعوا أمرا جديدا يرونه الهداية، وهم ملّة جديدة انحرفت عن ملّة سيدنا إبراهيم، بدليل الرد عليهم فقال تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [١٣٥: البقرة]، ولفظ ملّة ذكر في سياق الرد على سابق مثله (ملّة) حذف من السياق، وهو ما سوغ ذكر الملّة هنا، ولم يذكر الدين؛ ما يعني أن اليهود والنصارى ليس دينا بل ملّة غير ملّة سيدنا إبراهيم الحنيفة، و"الْحَنِيفِيَّةِ فِي اللُّغَةِ الْمَيْلُ، والمعنَى

أَنَّ إِبْرَاهِيمَ حَنَفَ إِلَى دينِ اللَّهِ وَدِينِ الإِسلامِ"(١)، فبعدما كان يميل إلى الشمس والقمر والكواكب بحثا عن إله يميل إليه عابدا، مال إلى الله الواحد الأحد واستقام، فاليهود والنصارى مالوا وحنفوا عن ملّة سيدنا إبراهيم. قال الطبري: "بل تعالوا نتبع ملّة إبراهيم التي يجمع جميعنا على الشهادة لها بأنها دين الله الذي ارتضاه، واجتباه وأمر به – فإن دينه كان الحنيفية المسلمة – وندع سائر الملل التي نختلف فيها"(٢)

والأنبياء المذكورون كانوا في أمة قد سلفت، واليهودية والنصرانية حدثت بعدهم، ونرى لفظ (أم) المتصلة متبوعة بجملة (تقولون) في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [١٣٧: البقرة]، فتسمية (هودا ونصارى) من قولهم، وليست من عند الله، وقد ذكر سبحانه وتعالى موسى وعيسى في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾ [١٣٦: البقرة]، ولم يذكر اليهودية أو النصرانية. "وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ تقرير وتوبيخ في ادعائهم بأنهم كانوا هودا أو نصارى. فرد الله عليهم بأنه أعلم بهم منكم، أي لم يكونوا هودا ولا نصارى. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لفظه الاستفهام، والمعنى: لا أحد أظلم." مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً" يريد علمهم بأن الأنبياء كانوا على الإسلام"(٣).

فهذه الآية تنفي اليهودية والنصرانية عن هؤلاء الأنبياء المسلمين لربهم، وتسمية هود ونصارى من قولهم، لا أصل لها. وهي في موضع ادعاء لا حقيقة لها، بدليل التعقيب في الآية

(١) الهروي، محمد بن أحمد، (ت: ٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، المحقق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت،٢٠٠١م، ج٥، ص٧٢.

(٢) الطبري، محمد بن جرير ، (ت: ٣١٠هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط١، القاهرة، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، ج٣، ص١٠٢.

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد، (ت: ٦٧١ هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، المحقق: هشام سمير البخاري، ط١، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية،١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م، ج٢، ص١٤٧.

﴿حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ذكر ابن عاشور أن: "أَمْ مُنْقَطِعَةٌ بِمَعْنَى بَلْ؛ وَهِيَ إِضْرَابٌ لِلِانْتِقَالِ مِنْ غَرَضٍ إِلَى غَرَضٍ، وَفِيهَا تَقْدِيرُ اسْتِفْهَامٍ؛ وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ لِلتَّوْبِيخِ وَالْإِنْكَارِ؛ وَذَلِكَ لِمَبْلَغِهِمْ مِنَ الْجَهْلِ بِتَارِيخِ شَرَائِعِهِمْ، زَعَمُوا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَأَبْنَاءَهُ كَانُوا عَلَى الْيَهُودِيَّةِ أَوْ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: "قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ" وَلِدَلَالَةِ آيَاتٍ أُخْرَى عَلَيْهِ مِثْلَ: "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا" [٦٧: آل عمران]" (١).

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [١١٣: البقرة]، يَرِد لفظ اليهود والنصارى مسبوقا بلفظ: (قالت)، فهما من قولهم، وتسموا بهما، وقالوا قولا من عند أنفسهم بغير علم، فحدث اختلاف بينهم وبين أهل الكتاب، أخرجهم عن الملّة. ونلاحظ أن لفظ اليهود والنصارى الوارد في الآية قد جاء في سياق الذم لمن ادعاهما.

ونجد في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [١٢٠-١٢٢: البقرة] ربطا لليهود والنصارى بملّة خاصة بهم ابتدعوها، فأحال إليهم بالضمير (هم)، وهي ليست لنبي من قبل، مخالفة لملّة سيدنا محمد، وإبراهيم من قبله، فقال تعالى: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٣٥: البقرة]، فأضاف إبراهيم إلى الملّة، ووصفه بأنه حنيف، وذكر اليهود والنصارى كمجموعة لها ملّة خاصة بهم، ويُتبع سبحانه وتعالى موضحا: ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ [١٢٠: البقرة]؛ أي ان ما هم عليه من ملّة ليست على هدى الله، فقد حرّفوا الدين بما يناسب أهواءهم، كما رغب المرتدون من الأعراب ألّا يكون في الدين الإسلامي زكاة، لكن الأمر لم يستتب لهم، غير أن أهواء اليهود والنصارى قد استتبت لهم، فنحو نحو ملّة غير ملّة سيدنا إبراهم ومحمد عليهما السلام. فجاء ذكرهم في موضع ذم.

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (د، ط)، ج١، ص٧٤٧.

وفي آية تالية يذكر الله تعالى الذين يتلون الكتاب حق تلاوته، ولم يذكر فيهم اليهود والنصارى، فهم ملّة خاصة. وهم الخاسرون بكفرهم.

أما قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [١٢٢: البقرة]؛ فإنه خطاب لبني إسرائيل القوم، ولم يخاطبهم بصفة اليهود والنصارى.

ويأتي لفظ نصارى بعد الفعل (قَالُوا)، في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ [١٤: المائدة]، فمصطلح النصارى من قولهم لا من عند الله، وعقب عليهم بأنهم نسوا ما ذكروا به، فعاقبهم بأغراء العداوة والبغضاء بينهم، وقد ذُكروا في سياق الذم، وفي الآية اللاحقة يوجه تعالى الخطاب إلى أهل الكتاب، ولم يوجهه إلى النصارى المذكورين في الآية السابقة، قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾ [١٥: المائدة]، يقول الثعالبي: "علَّق قولهم: "نصارى" بقولهم ودعواهم؛ مِنْ حيث هو اسمٌ شرعيٌّ يقتضي نَصْرَ دينِ اللَّه، وسَمَّوْا به أنفُسَهُمْ دُون استحقاق "(١)، وقوله: مِن "وإنما لم يقل " من النصارى" لأنهم إنما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصر الله، وهم الذين قالوا لعيسى: نحن أنصار الله . ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية أنصاراً للشيطان"(٢)، "وقال الحسن: فيه دليل على أنهم نصارى بتسميتهم لا بتسمية الله تعالى"(٣).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [١٨: المائدة]، في الآية رد على قول اليهود والنصارى

(١) الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد، (ت: ٨٧٥هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار إحياء التراث العربي -بيروت،١٤١٨ هـ، ج٢، ص٣٦٣.

(٢) النسفي، عبد الله بن أحمد، (ت: ٧١٠هـ)، **تفسير النسفي – مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط١، دار الكلم الطيب، بيروت،١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، ج١، ص٤٣٥.

(٣) البغوي، الحسين بن مسعود (ت : ٥١٠هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)**، ط١، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤٢٠ هـ، ج٢، ص٣١.

بأنهم: " أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ " فهو ادعاؤهم وقولهم، وليس من عند الله، فسبقت جملة: (قالوا) ذكر اليهود والنصارى. وذُكروا في سياق ذم.

ومن الآيات التي تذكر اليهود والنصارى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [٥١: المائدة]، وليس في الآية ما يدل على أن اليهود والنصارى دين، فهم ملّة بعضهم أولياء بعض، ولا تجوز موالاتهم؛ لأنهم قوم ظالمون، ولفظ قوم يدل على أن اليهود والنصارى يجمعهم عرق واحد. وصفة الظلم مقيدة بالقوم الظالمين، وليست في كل قوم.

وخاطب الله تعالى أهل الكتاب بأن أكثرهم فاسقون عن تعاليم الكتاب، واليهود والنصارى من أهل الكتاب، وهم الأكثرية الفاسقة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ [٦٣: المائدة]، وكثيرا منهم أهل إثم وسحت وبغض وعداء، ويوقدون الحروب ويسعون بالفساد. قال تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ [٦٢: المائدة]،وقالت اليهود من تلقاء نفسها: أن يد الله مغلولة، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [٦٤: المائدة]، ، فكيف يكون لفظ يهود دالا على دين سماوي، وكله فساد وكره وعداء، وأهله ملعونون، واللعن إخراج من رحمة الله، فكيف يخرج الله كل أتباع اليهودية – على افتراض أنه دين – من رحمته، والله أرحم بالطفل من أمه. وتختم الآية بعدم حبهم؛ لأنهم مفسدون، فهم موضع ذم.

ولم يُذكر الله تعالى الفعل (قالوا) قبل لفظ اليهود في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [٨٢: المائدة]؛ لأن المقام مقام ذم لهم، فلا موجب للفعل قال، ولأنه لا يعادي أتباع الحق إلا أعداؤه، فالمعنى المتحصل ينفي عنهم صفة الدين، وعندما صار الحديث عن النصارى، وحتى لا يتوهم أحد أنهم على

دين، قدم سبحانه وتعالى بلفظ قالوا؛ أي هم سموا أنفسهم نصارى، وقد يقول قائل: وما مسوغ ذكر القسيسين والرهبان؟ وليس في الإسلام ذلك؛ فلأنهم استثناء في من يقولون عن أنفسهم بأنهم نصارى، وأنهم لا يستكبرون، وهنا تستخدم قاعدة الاستثناء بِمن التبعيضية" مِنْهُمْ "كما ترد مع لفظ هادوا، ففي النصارى صالح وطالح.

ويوضح الله تعالى ادعاء اليهود والنصارى وتسميتهم لأنفسهم مسبوقا بالقول: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ [٣٠: المائدة]، فعندما ذكر تعالى اليهود والنصارى سبقهم بلفظ قالت؛ وما جاء من شرك هو من قولهم وفعلهم، وليس من تعاليم الله تعالى، وهو قول يضاهئ قول الذين كفروا من قبلهم، وهنا يربط الله تعالى اليهود والنصارى بالكفر في لفظ (يُضَاهِئُونَ). ويصفهم بالشرك لاتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا، فصيغة أفتعل تدلّ على الاتخاذ (اتخذوا)، وضمير الجماعة الواو يعود على اليهود والنصارى، وقد ذُكرهم في سياق الذم. وهم من الذين أوتوا الكتاب، قال تعال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [٣١: المائدة].

ومن المواطن التي يستثنى فيها اليهود والنصارى من أهل الكتاب مسبوقا بالقول من عند أنفسهم، قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ... (١١٠) وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [١١٠-١١٢: البقرة]، فكثير من أهل الكتاب كفار، والآية التالية تبدأ بلفظ (قالوا)؛ أي من ادعائهم، وضمير الجماعة الواو يعود على الأكثرية من أهل الكتاب، ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، الذين سموا أنفسهم هودا ونصارى. وقد ضلوا عن الطريق القويم، فقالوا من عند أنفسهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾، وتبدأ الآية التالية بلفظ بلى، إضرابا عن قولهم إلى مدح من أسلم وجهه لله تعالى، فهم ليسوا ممن أسلم لله تعالى. ومقام ذكرهم مقام الذم.

وينفي سبحانه وتعالى عن سيدنا إبراهيم اليهودية والنصرانية في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [٦٧: آل عمران]، ويستثنيهم من أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ [٦٩: آل عمران]،قال ابن عباس: "اجْتَمَعَتْ نَصَارَى نَجْرَانَ وَأَحْبَارُ يَهُودَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَنَازَعُوا عِنْدَهُ، فَقَالَتِ الْأَحْبَارُ: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا يَهُودِيًّا. وَقَالَتِ النَّصَارَى مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا نَصْرَانِيًّا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ" أَيْ: كَيْفَ تَدّعُون، أَيُّهَا الْيَهُودُ، أَنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا، وَقَدْ كَانَ زَمَنُهُ قَبْلَ أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، وَكَيْفَ تَدّعُون، أَيُّهَا النَّصَارَى، أَنَّهُ كَانَ نَصْرَانِيًّا، وَإِنَّمَا حَدَثَتِ النَّصْرَانِيَّةُ بَعْدَ زَمَنِهِ بِدَهْرٍ. وَلِهَذَا قَالَ: "أَفَلا تَعْقِلُونَ"(١). وذكر البيهقي: "قال أبو رافع القرظي حين اجتمع عنده النصارى والأحبار فدعاهم رسول الله إلى الإسلام قالوا: أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم"(٢).

وجاء النسب إلى اليهود والنصارى في سياق نفي صفة اليهودية والنصرانية عن سيدنا إبراهيم، ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾، ونفي الشرك عن سيدنا إبراهيم إثبات للشرك على اليهود والنصارى.

ولم يُستثنى من أهل الكتاب الوارد ذكرهم في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ﴾ [٦٥: آل عمران]، بمِن التبعيضية؛ لأن الاستثناء قد جاء بذكرهم لفظا صريحا في آية تالية، نافيا أن يكون سيدنا إبراهيم يهوديا أو نصرانيا.

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع. ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، ج٢، ص٥٧.

(٢) البيهقي، أحمد بن الحسين، (٣٨٤ . ٤٥٨ هـ)، **دلائل النبوة**، تحقيق: عبد المعطى قلعجى، ط١، دار الكتب العلمية . ودار الريان للتراث، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م، ج٥، ص٣٨٤.

وحرف الجر مِن في قوله تعالى: ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يدل على التبعيض، فيخصص طائفة ضالة من أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾، لا يشمل اليهود والنصارى؛ بدليل النفي بما ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾. والضلال حدث على مراحل بما لا يشعرون به، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [٦٩: آل عمران]، وعدم الشعور يحتاج وقتا، على هوادة وهدوء، وهو من معنى هادوا وفيه حيدة وانحراف.

٢-٢ جملة (هادوا)

نظرا لأهمية المعنى المتحصل من الفعل هاد في جملة (هادوا)، نفرد تحليلا للآيات التي وردت فيها، ولم يذكر معها لفظ يهود أو نصارى لبيان المقصود منها ومن الفعل هاد، بعد أن بينت أن لا ترادف بين هاد وهدى وتاب.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [٤٤: المائدة]، أنزل الله تعالى التوراة ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾، "والنبيون الذين أَسْلَمُوا هم مَن بُعِثَ من لدنْ موسَى بنِ عمرانَ إلى مدة نبيّنا محمَّد عليه السلام ، وأسلموا: معناه أَخْلَصُوا وجوهَهُم ومقاصِدَهم للَّه سبحانه، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ متعلّق بـ (يَحْكُمُ)؛ أي يَحْكُمُونَ بمقتضَى التوراةِ لبني إسرائيل وعليهم، والربانيون: عطف على النبيّين، أي ويحكم بها الرَّبَّانِيُّون، وهم العلماءُ" [١]. والعلاقة بين (للذين هادوا) و (من كتاب الله) علاقة تناقض، فالذين هادوا تنكبوا عن كتاب الله، وقد نزلت التوراة والإنجيل ليعودوا إلى كتاب الله الذي استحفظ بعضه الربانيون والأحبار. وكانوا يخشون من قول الحق خوفا من الناس.

(١) الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، ج٢، ص٣٨٥.

ولم تحدد جملة هادوا ماهية الذين هادوا، وليس فيها معنى الديانة اليهودية، ولا الدلالة على بني إسرائيل، فالتوراة نزلت هداية وحكما للذين هادوا، ولم يقل للذين اهتدوا أو تابوا؛ فقد هادوا ولم يعودوا مهتدين، والربانيون والأحبار جزء من الذين هادوا، وظلوا على ما هم عليه من الهدى، لكنهم كانوا يخشون الطائفة الأخرى الضالة، فلا يمارسون الهداية، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ولا يقصد النبيين بخشية الناس، فالنبيون لا يشترون بآيات الله.

والاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا﴾ استدراك على الربانيين والأحبار، فيجب أن يكون حكمهم بالذي استحفظوه من الهدى من قبل، وليس بما يريد الناس خشية منهم، والذين هادوا جزء من الناس– وهي إشارة إلى واقع حال الربانيين والأحبار مع الذين هادوا، فخشيتهم لهذه الطائفة –الذين هادوا– تمنعهم من الحكم بما أنزل الله في التوراة، وفي أسباب التنزيل تُذكر قصة الزاني والزانية من اليهود حيث كانوا يخالفون أحكام التوراة، فإذا زنى الشريف خففوا عليه الحد، وإذا زنى الوضيع أقاموا عليه الرجم، وكذا في القتل يتهاونون في دين الله(١)، وقد تكون (ما) مصدرية؛ وهي تعني بما لديهم من مستحفظ، فهم لا يحكمون بما يحفظونه خشية من الذين هادوا. ولفظ الربانيين والأحبار معطوف على النبيين، والربانيون والأحبار في مجتمع الذين هادوا، فهذا المجتمع فيه فئتين: من هادوا والربانيين والأحبار.

ولفظ الناس عام، والذين هادوا من جملة الناس الذين يحتاجون الهداية على يد الأنبياء والربانيين والأحبار، فلم يكونوا على هدى، فلفظ هادوا لا يعني اليهود، وليست دينا، وذكر في جملة الناس الذين هادوا والربانيون والأحبار فهناك كثرة ضالة من الناس تحتاج هداية، وقلة مهتدية، وهم الربانيون والأحبار ويخشون من الناس في إظهار الحق.

وفي معنى هادوا يقول ابن عاشور: "فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ بِقَوْلِهِ: فَلا تَخْشَوُا

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص١١٣.

النَّاسَ لِيَهُودِ زَمَانَ نُزُولِ الْآيَةِ"(١). ولم يرد في اليهود لفظ صريح يدل عليهم هنا، وضمير الجماعة في قوله تعالى: "اسْتُحْفِظُوا" يعود على الربانيين والأحبار، وليس على اليهود على اعتبار أن الذين (هَادُوا) هم اليهود. ولكن أليس الربانيون والأحبار من علماء اليهود؟ فما مسوغ فصل الربانيين والأحبار عنهم، وهم منهم؟ إن هذا الفصل يدل على أن لفظ هادوا له دلالة خاصة، فدل على مجموعة من طائفتين: مهتدية خائفة وأخرى ضالة مسيطرة. وصيغة استفعل: استحفظوا. فيها تتابع زمني وسكوت دون الجهر بالمحفوظ، وهذا الصيغة تنطبق على استحفاظ الربانيين والأحبار للكتاب من قبل. وأما لفظ هادوا فله دلالة خاصة من الحيدة والانحراف على هوادة.

يقول ابن عاشور: "وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ لِلنَّبِيئِينَ وَالرَّبَّانِيِّينَ وَالْأَحْبَارِ ... لِأَنَّ تَمَامَ الِاسْتِحْفَاظِ يَظْهَرُ فِي عَدَمِ الْمُبَالَاةِ بِالنَّاسِ رَضُوا أَمْ سَخِطُوا"(٢). إن الأنبياء مكلفون من الله تعالى، فلا يخشون الناس ولا يشترون بآيات الله، فالتوجيه للربانيين والأحبار، بألّا يخشوا الناس، وخاصة الذين هادوا منهم، وأما الربانيون والأحبار فلأنهم لم يعملوا بما استحفظوه خشية من الفئة الضالة، وهذا مقام ذم للطرفين، وهم المقصود من الناس.

وضمير الجماعة في قوله: كَانُوا. من قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ يعود على الربانيين والأحبار، بدليل قوله: شُهَدَاءَ، وضمير الغيبة الهاء في قوله: عَلَيْهِ. يعود على كتاب أهل الكتاب، وهو قبل التوراة والإنجيل، والربانيون والأحبار شهداء عليه؛ لأن الشهادة حاصلة بما استحفظوه مما كان سابقا ، بدليل صيغة الماضي في الفعل: استحفظوا، وكانوا. بينما الأنبياء مبلغون هداة، وشهداء الحاضر، ومقام الحضور خطاب موجه لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فلم يقصد بالشهادة الأنبياء السابقين.

وقال تعالى في الذين هادوا: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير** ج٦، ص٢١٠.

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٦، ص٢١٠.

دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [٦،٧: الجمعة]، قال ابن عطية أن المقصود بهادوا؛ يهود المدينة[١]، وأما السمرقندي، فيقول: "إنها تعني الذين "مالوا عن الإسلام والحق إلى اليهودية "[٢] ويقول أبن كثير: "أي إن كنتم تزعمون أنكم على هدى، وأنّ محمداً وأصحابه على ضلالة، فادعوا بالموت على الضال من الفئتين"[٣]، فلفظ هادوا لم يذكر اليهود بصريح اللفظ، ولا يدل أنهم أصحاب ديانة تسمى اليهودية، ولا يدل على أنهم قد عادوا تائبين إلى الهدى، بدليل قوله (زعمتم، ولا يتمنونه، بالظالمين). وأقرب تفسير لها ما قاله السمرقندي؛ أي مالوا، فيهود المدينة ممن مالوا عن الحق.

وإذا نظرنا في لفظ التوراة والإنجيل في القرآن الكريم، لا نجد ربطا بينهما وبين اليهود والنصارى، ويُذكر الكتابان مع لفظ أهل الكتاب، وقد ذُكر أهل الإنجيل في قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [٤٧: المائدة]

ويذكر لفظ (هادوا) مع التبعيض في قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [٤٦: النساء]، يُسبق الاسم الموصول (الذين) في أغلب الآيات التي يذكر فيها لفظ (هادوا) بمن؛ وهي هنا تَبْعِيضِيَّةٌ، "خَبَرٌ لمبتدأ مَحْذُوفٍ دَلَّتْ عَلَيْهِ صِفَتُهُ وَهِيَ جُمْلَةُ يُحَرِّفُونَ، وَالتَّقْدِيرُ: قَوْمٌ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ"[٤]، ولفظ قوم تقدير مفسر، وليس من لازم الاشتقاق، فالذين هادوا بعض من قوم، وليسوا كل القوم، ومن الذين هادوا مجموعة يحرفون الكلم عن مواضعه وهم الأغلبية بناء على ما سنوضحه لاحقا. فالتقدير هو: مجموعة أو طائفة من الذين هادوا،

(١) ابن عطية، عبد الحق بن غالب، (ت: ٥٤٢هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ، ج٥، ص٣٠٧.

(٢) السمرقندي، نصر بن محمد، (ت.٣٧٥)، **تفسير السمرقندي –المسمى بحر العلوم**، تحقيق وتعليق، الشيخ محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والدكتور: زكريا عبد المجيد النّوبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج٣، ص٣٦٢.

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٨، ص١١٨.

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٥، ص٧٤.

ليسوا على هدى، وظلوا على كفرهم، فلفظ هادوا يضم طائفتين قد عادوا تاركين على ميل، منهم من عاد مائلا إلى خير، ومنهم من عاد مائلا على شر، فلفظ هادوا لا يحمل معنى الدين اليهودي، ولا يعني هدى أو توبة تامة. فمَن التبعيضية تستثني طائفة أو مجموعة من الذين هادوا، وتصفهم بعدة صفات من السوء، وتُختم الآية بلعنهم بسبب كفرهم.

وقال تعالى: وقال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [١٦٠: النساء]، يرد لفظ هادوا في سياق العقاب بسبب الظلم، فقد هادوا عن الحق، وعم العقاب، ولم يخصص بطائفة منهم، ؛لأن صالحهم يخشى من طالحهم كما بينا سابقا، فلم ترد مِن التبعيضية. والسياق للذم..

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [٤١: المائدة]، فقد سُبق لفظ هادوا بمِن التبعيضية، وذُكر مع موصول يحتاج بيانا، وهو يدل على مجموعة من الذين هادوا، تتصف بصفات منحرفة، وليس كلهم، فلفظ (هادوا) يجمع بين طائفتين: قلة مهتدية وكثرة ضالة، ولذا نجد الاستثناء الدلالي بمِن التبعيضية يلازم لفظ الذين هادوا في أغلب السياقات القرآنية، وما لم يُسبق بمِن التبعيضية فيه تبعيض لاحق أو في اللفظ تعميم كتعميم العقاب في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا ... ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [١٤٦: الأنعام].

وهنا لا نجد مِن التبعيضية؛ لأن العقاب عم الذين هادوا بطائفتيهم الضالة والمؤمنة لسكوت الثانية على الباطل فشملهم العقاب. فلفظ هادوا لا يحمل معنى الدين. ومن التعميم قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ [١١٨: النحل]، فالعقاب للجميع، بما ظلموا أنفسهم به، وليس فيها معنى الدين.

وقد ورد لفظة (هاد) مع الضمير الدال على جماعة المخاطبين (نا) فقال تعالى: ﴿إِنَّا

هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [١٥٦: آل عمران]. وهي لا تعني أن كل السبعين الذين اختارهم سيدنا موسى قد عادوا مهتدين أو تائبين، بل هادوا على صورة خاصة، بدليل قوله تعالى على لسان سيدنا موسى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [١٥٦: آل عمران]، فقد عادوا وفيهم السفيه والصالح، ووصف سيدنا موسى الرجفة بالفتنة؛ لأنها كشفت خبيثهم من صالحهم، ومع ذلك دعا واستغفر واسترحم لهم جميعا، لكن الله تعالى قال لسيدنا موسى مستثنيا وموضحا ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١٥٦: آل عمران]. وهذا استثناء يتساوق مع الاستثناءات السابقة، وهو استثناء بعد الدعاء ثم قال: (هُدْنَا)، ولم يقل اهتدينا وهذا يدل على أن لفظ (هدنا) يتضمن وجود طائفتين مهتدية وغير مهتدية، فلفظ هدنا ليس بمعنى اهتدينا؛ أي جئنا مهتدين، فالرحمة ليست لكل من هاد.

والضمير المجرور في قوله تعالى: "مِنَّا" يعود على مَن كانوا مع سيدنا موسى، فالسبعون مع أنهم مختارون غير أن فيهم السفهاء، فطلبوا لأنفسهم ما لا يكون لغيرهم، وقالوا: إنهم طلبوا أن يروا الله فأخذتهم الرجفة(١)،وقال العكبري في الاستفهام والجر من قوله تعالى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [١٥٦: آل عمران]. "وَقِيلَ: مَعْنَاهُ النَّفْيُ؛ أَيْ: مَا تُهْلِكُ مَنْ لَمْ يُذْنِبْ. وَ (مِنَّا): حَالٌ مِنَ السُّفَهَاءِ"(٢). وقيل "الاستفهام هنا معناه النفي مع الاستعطاف"(٣)، وهذا دليل على تغلغل الفساد بين أتباع سيدنا موسى، وأن ليس كل من هاد عاد مهتديا، وتجب له المغفرة، حتى من السبعين المختارين.

وقد اسند الفعل (هاد) لضمير الجماعة المخاطبة: (هُدْنَا)، ليدل على المخاطبين الحاضرين، وأن سيدنا موسى على رأس الطائفة المهتدية؛ لأنه المتكلم.

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٣٧٩.

(٢) العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت: ٦١٦هـ)، **التبيان في إعراب القرآن**، المحقق : علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ت)، ج١، ص٥٩٧.

(٣) درويش، محيي الدين بن أحمد، (ت: ١٤٠٣هـ)، **إعراب القرآن وبيانه**، ج٣، ص٤٦٧.

وأما لفظ هادوا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ [٦٢: البقرة]، فقد ورد فيه توضيح سابق.

٣- النتائج

بعد الرجوع إلى المعاجم وكتب المفسرين وبعد تحليل الآيات القرآنية تبين جملة نتائج:

- أوردت معاجم اللغة عدة آراء في أصل لفظ يهود؛ وهي إما مشتقة من لفظ هاد، وإما نسبة إلى يهودا، وأما النصارى فهي مشتقة من النصرة أو نسبة إلى مدينة الناصرة، وكانت نتائج التحليل تؤيد اشتقاق مصطلح اليهود من هود وهاد يهود هودا وتهودا، ومصطلح النصارى من النصرة وفعله نصر.
- من معاني التهود التي ذكرت في المعاجم التحول إلى ملّة يهود، وهو رأي معتبر، لكن هل التحول من موجود إلى موجود؟ وليس على ثاني الوجود دليل؛ وهو اليهودية كدين سماوي، وقد يكون التحول إلى معتقدات وثنية كانت سائدة، وهو بحاجة لبحث تاريخي، أما التحول فحاصل؛ وهذا ما تؤازره المعاني المعجمية للفظ هاد، وهو من السير على هدوء ولين، والتهود في الصوت والحركة، فمالوا وحادوا عن الحق متهودين؛ أي عادوا متحولين عن الخير إلى الشر. وسموا أنفسهم يهودا بدليل لفظ قالوا الذي يرد كثيرا مع ذكرهم.
- الاشتقاق من الفعل هاد على معنى العودة إلى الهدى مطلقا يرادف الاشتقاق من الفعل هدى يهدي، وليس في لغة القرآن الكريم ترادف، وليس فيه ما يدل على أن اليهود بمعنى المهتدين، ولا أن مضمون الفعل هاد يدل على مطلق العودة إلى الهدى، وكذا في المعاجم ، والفعل تاب لا يرادف الفعل هاد، فالتوبة هي الرجوع عن المعصية، وأمَّا قولهم: إن اليَهود مِن "هاد يَهُودُ، إذا تاب هَوْدَاً" فقد خصص لفظ تاب بلفظ (هودا)، وهذا يخرج التوبة عن مطلق معناها، ففيها صفات التهود، وهو معنى لا يستقيم دلاليا.
- لم أجد تفريقا واضحا في المعاجم بين الفعل هاد وعاد، غير أن الفعل: هاد. فيه مطلق

العودة من الخير إلى الشر ومن الشر إلى الخير، والارتباط بالخير والشر له علاقة بالمبادئ والاعتقاد فكرا وعملا، وهذا ملمح مميز له. والفعل عاد فيه مطلق العودة دون تحديد لخير أو شر، وعليه لا ترادف بينهما، والفرق الدقيق؛ أن الفعل عاد يرد في معنى العودة مطلقا دون التقييد بخير أو شر، ويكون من شيء إلى شيء، ومن لا شيء إلى شيء. والفعل هاد فيه معنى العودة على خصوص، فمن عادوا إلى الهدى، ليسوا كمن هادوا، فالذين هادوا لم يكونوا على تمام العودة في التوبة والهدى، فالعودة المتضمنة في الفعل هاد فيها نقص، فهو فعل يدل على مجموعة أكثرها ضال وقلة مهتدية، فليس كل من عاد تاب واهتدى، فجوهر التوبة والهداية ناقص خالطه الشرك والكفر، وهذا ما وصف به القرآن الكريم كثيرا من الذين هادوا، إضافة إلى صفات أخرى، فاستقل الفعل هاد في معناه عن الفعل هدى، فمن عاد مهتديا عاد على تمام الهدى، والذين هادوا عادوا على حيدة ونقص في الهدى والتوبة كوصف للمجموعة على وجه العموم، وفي المعنى السياقي في القرآن الكريم تغليب للكثرة الضالة، وعدم تأثير الفئة المهتدية، فعند التفصيل يرد استثناء على مضمون الفعل (هادوا) بمِن التبعيضية أو باستثناء لاحق.

- يُسند الفعل هاد إلى واو الجماعة في القرآن الكريم دالا على موصوف مكون من طائفتين: طائفة ضالة مذمومة، وهم الكثرة الذين هادوا من أهل الكتاب، وطائفة أخرى قليلة ممن اهتدوا لأنفسهم فهم صالحون وليسوا مصلحين وورد فيهم ذم كخشيتهم للناس من دون الله. ولم يرد الفعل هاد – من هود – في معاجم اللغة ولا في القرآن الكريم مسندا إلى المفرد أو المثنى. فالفرد لا يكون على الحقيقة كافرا ومؤمنا أو مشركا ومؤمنا في آن واحد، فهذه صفة غير النفاق.
- يرد الفعل هاد بصيغة الماضي مسندا لواو الجماعة، والمخاطبون غائبون إلا فعلا واحدا، أسند لضمير المتكلمين (هدنا)، فصار الخطاب للحاضرين؛ لوجود سيدنا موسى فيهم، ليكون على رأس المجموعة المهتدية كونه المتكلم، أما خطاب الغائبين فليس فيه تحديد

واضح لأحدى الطائفتين التي يدل عليهما الفعل هاد إلا ما جاء فيه استثناء.

- يتضمن لفظ هادوا الدلالة على طائفتين في بعض مواضعه من القرآن الكريم من باب التفصيل في مضمون المجموعة الذين هادوا، ويرد فيه الاستثناء بمِن التبعيضية للبيان والتوضيح.
- خص الفعل هاد بالإسناد للجماعة، فلم يرد في القرآن الكريم ولا في معاجم اللغة مسندا إلى المفرد أو المثنى، وهذا تخصيص لاستعماله في الدلالة على جماعة مكونة من طائفتين: واحدة ضالة وأخرى مهتدية في آن واحد. وأُسند الفعل إلى الجماعة بالوا وضمير المتكلمين (نا) ولم يسند لمثنى الطائفة باعتبار أفراد المجموعتين؛ فالخلل في الأفراد.
- اليهودية والنصرانية ملّة واحدة بعضها من بعض، قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، فهم ملّة واحدة غير ملّة سيدنا إبراهيم، كما ورد في صريح الآيات التي نوقشت في متن البحث.
- اليهود والنصارى بعض أهل الكتاب، فهم يتلون الكتاب، وبينهم اختلاف فيه بغير علم، وهذا الاختلاف في أسس ملّتهم، فوصفوا في القرآن الكريم بالشرك والكفر وغيره من ذميم الصفات.
- أهل الكتاب فيهم المهتدون وفيهم الضالون وهم الأكثرية، وعندما يذكر عز وجل أهل الكتاب يستثنى منهم أغلبية على وجه الذم، وعندما يذكر اليهود والنصارى يتلو ذكرهم الذم بلا استثناء.
- أغلب لفظ (أهل الكتاب) في القرآن الكريم يُسبق بمِن التبعيضية، فتُستثنى منهم أكثرية، وهم مضمون الدلالة في لفظ (هادوا). ولفظ (هادوا) فيه استثناء بمِن التبعيضية يكشف عن وجود طائفتين: قلة مهتدية وأكثرية ضالة، وهناك استثناءات بطرق أخرى في ما لم ترد معه مِن التبعيضية، والاستثناء يرد مع الألفاظ: هادوا واليهود، والنصارى، وأهل الكتاب، وهدنا.
- لفظ هادوا في الاستعمال القرآني يجمع في مضمونه اليهود والنصارى في مواضع من

القرآن الكريم. وإذا خص دل على اليهود. وهم ينتمون إلى قومية واحدة.

- المفسرون على قسمين في مفهوم اليهود والنصارى؛ قسم يعدهما دينا سماويا، وقسم يرى أنهما من تسميتهم لأنفسهم؛ فليسا دينا، ونتائج البحث تثبت أن اليهودية والنصرانية ليسا دينا سماويا بل أسمان لملتين من أهل الكتاب أطلقتا على نفسيهما هذين المسميين.
- يرتبط لفظ دين في القرآن الكريم بالإسلام، وليس في السياق القرآني ما يربط اليهودية والنصرانية بدين سماوي، وهما ملّة مخالفة لملّة سيدنا إبراهيم في قواعد الاعتقاد، فوصف القرآن الكريم أتباعهما بالكفر والشرك وغيرها من الصفات التي لا تحمد، فلا يُذكرون في القرآن الكريم إلا ذما.
- لم يخاطب القرآن الكريم اليهود والنصارى في زمن البعثة النبوية كدين سماوي.
- الفعل: قالوا. في القرآن الكريم يلازم لفظي اليهود والنصارى، فهما مصطلحان ادعاهما قولا من عند أنفسهم أتباع هاتين الملّتين (اليهودية والنصرانية).
- الفعل في جملة: هدنا. في قوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ لا يحمل معنى العودة على توبة وهدى تام بدليل قوله تعالى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾، وعليه فالفعل من هاد هود، وليس من هدى هدي، وأسند الفعل إلى ضمير جماعة المتكلمين الحاضرين (نا)، ليحدد زمن حدوث الفعل في حضور سيدنا موسى، ويجمع بين الطائفتين التائبة المهتدية، وسيدنا موسى على رأسها، والطائفة السفيهة التي شاب توبتها نقص.

٤- التوصيات

توصي الدراسة بإجراء المزيد من البحوث في هذا المجال؛ لأن الأمر يتعلق بتغيير مفاهيم سادت قرونا، ووقرت في أفهام الناس وتغييرها ليس بالأمر السهل، خاصة أنه يتعلق بمفاهيم دينة.

المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الأخطل، غياث بن غوث بن طارقة التغلبي، ديوان الأخطل، تصنيف: مهدي محمد ناصر الدين، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٣. الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي - بيروت،٢٠٠١م.

٤. الباهلي، أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت: ٢٣١ هـ)، ديوان ذي الرمة، رواية ثعلب، المحقق: عبد القدوس أبو صالح، ط١، مؤسسة الإيمان جدة، ١٩٨٢ م - ١٤٠٢ هـ.

٥. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤٢٠ هـ.

٦. البيهقي، (٣٨٤ ـ ٤٥٨ هـ)، دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطى قلعجى، ط١، دار الكتب العلمية ـ ودار الريان للتراث، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٧. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ١٤١٨ هـ.

٨. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٩. الحموي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (د. ط)، المكتبة العلمية، بيروت.

١٠. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، (ت: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، (د.ط)، المحقق: صدقي محمد جميل،دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١١. درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ)، إعراب القرآن وبيانه، ط٤، دار الإرشاد للشؤون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، ١٤١٥ هـ.

١٢. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، المحقق: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين –بيروت، ١٩٨٧م.

١٣. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ١٤١٢هـ.

١٤. الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٥. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٧هـ.

١٦. ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، المخصص، المحقق: خليل إبراهم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

١٧. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ت: ٤٥٨هـ, المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية –بيروت، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

١٨. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (ت: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط١، القاهرة، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٩. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (د،ط)، الدار التونسية للنشر –تونس

٢٠. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، معجم الفروق اللغوية، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ط١، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٢هـ.

٢١. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٢. الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت:٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٣. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية –القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢٤. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٥. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب،ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٦. ناظر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي،(ت: ٧٧٨ هـ)، شرح التسهيل المسمى "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد" دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، ط١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – جمهورية مصر العربية، ١٤٢٨ هـ.

٢٧. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، تفسير النسفي – مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط١، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.